المؤسسات التعليمية
في عهد نورالدين محمود واثرها
في عملية الاصلاح
«المدارس إنموذجاً»

الباحث

أ.م. د. نور سعد محسن

the Educational institutions in the era of Nur (Eddin Mahmoud) 511 - 569 AH / 1118 - 1174 and its impact on the reform process

Researcher

Asst .Prof. Dr. Noor Saad Muhsin

الملخص

المؤسسات التعليمية في عهد نورالدين محمود واثرها في عملية الاصلاح «المدارس إنموذجا»

البحث يدور حول واحدة من ابرز المؤسسات التعليمية الا وهي المدارس التي بنيت اثناء حكم نور الدين زنكي واثر هذه المدارس في عملية الاصلاح التي نفذها نورالدين زنكي في داخل مجتمع الدولة الاسلامية.

يستمد هذا الموضوع اهميته من شخصية نور الدين زنكي نفسه كونه احد ابرز شخصيات القرن السادس الهجري.

يقع الموضوع في مبحثين، الاول ركز على معالم الحياة العلمية في عهد نورالدين محمود، تحدثنا فيه عن اهم المؤسسات العلمية التي انشات في عهده فضلا عن ما تمتع به العلماء من مكانة، اما المبحث الثاني فأوضحنا فيه اهم المدارس التي بنيت في عهد نورالدين محمود فضلا عن الاثر الذي تركته في المجتمع واهميتها في خطته الاصلاحية، هذا بالإضافة الى الخلاصة وقائمة المصادر والمراجع.

أبرز نتائج البحث تمثلت بـ:

- اهتم نور الدين محمود بالعلماء واكرمهم وقد ساعدت حالة النهوض الثقافي التي عاشها المجتمع في عهدة على تدفق العلماء من مختلف البقاع الى دولته، وقد كانت لهم المنزلة الرفيعة في مجلسه.
- لقد أنشأ نورالدين محمود المدارس على أكثر من مذهب.
- استهدفت المؤسسات التعليمية وخاصة المدارس توفير كادر متكامل من الموظفين لمختلف مؤسسات الدولة كادر يتماشى مع خطة الاصلاح الشاملة التي رسمها نورالدين محمود.
- استهدفت هذه المدارس اضافة الى مهمتها الاساسية في محاربة الجهل الامية ترسيخ الاخلاق والقيم والعقيدة.

Abstract

The subject of the research about the Educational institutions in the era of Nur Eddin Mahmoud (511 - 569 AH / 1118 - 1174) and its impact on the reform process.

This subject takes it im portance from the importance of personal Albalatheri one of the most important rulers in the first half of the sixth century AH.

The research in tow sections, the first covers the Scientific life in the era of Nur Eddin Mahmoud , talking about his For his interest in educational institutions as well as his interest in scientists.

The second section devoted to theSchools in the era of Nur al - Din and its impact in the pro - cess of reform, talking about Different schools and their impact in the process of reform and renewal.

The most important results of this research represented by:-

- Nour al -Din Mahmud was interested in scientists and respected them. The state of cultural advancement that the society experienced in his era helped the flow of scientists into his country.

- Nur al -Din Mahmood established schools on the four schools of thought.

- Educational institutions, especially schools, aimed to provide an integrated cadre of staff to various state institutions in line with the reform plan drawn up by Noureddine.

- The schools have spread the Islamic spirit and dried up the exotic teachings of Islam.

- These schools were targeted in addition to their primary task in combating ignorance and illiteracy.

المقدمة

هذا بحث يدور حول واحدة من ابرزالمؤسسات التعليمية الا وهي المدارس التي بنيت اثناء حكم نور الدين زنكي واثر هذه المدارس في عملية الاصلاح التي نفذها نورالدين زنكي في داخل مجتمع الدولة الاسلامية.

يستمد هذا الموضوع اهميته من شخصية نور الدين زنكي نفسه كونه احد ابرز شخصيات القرن السادس الهجري وذلك لما حققه من انجازات سواء على الصعيد الداخلي من عملية اصلاح شاملة في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، او على الصعيد الخارجي تلك الانجازات التي تمثلت الانتصارات المهمة على القوات الصليبية، فضلا عن اهمية المؤسسات التعليمية وخاصة المدارس وما لعبته من دور بارز ومؤثر في خطة نور الدين زنكي الاصلاحية داخل المجتمع.

تناولت الموضوع في مبحثين، الاول ركز على معالم الحياة العلمية في عهد نور الدين محمود، تحدثنا فيه عن اهم المؤسسات العلمية التي انشات في عهده فضلا عن ما تمتع به العلماء من مكانة، اما المبحث الثاني فأوضحنا فيه اهم المدارس التي بنيت في عهد نور الدين محمود فضلا عن الاثر الذي تركته في المجتمع واهميتها في خطته الاصلاحية، هذا بالإضافة الى الخلاصة وقائمة المصادر والمراجع .

من ابرزالصعوبات التي واجهها هذا البحث تمثلت في قلة المصادر التي تتحدث عن هذه الحقبة وخاصة المصادر المعاصرة للدولة الزنكية، فضلا عن ان معظم المصادر الموجود تركز وبشكل اساس على النشاط العسكري للسلطان نورالدين محمود كجزء من الجهود والمتواصلة ضد القوات الصليبية المتواجدة في المنطقة وكون حملاته كانت ذات اثر كبير فيما تحقق فيما بعد على يد صلاح الدين الايوبي من نصر في معركة حطين لذلك فان هذا التركيز على النشاط العسكري كان على حساب باقي المجالات ومن ضمنها الثقافية والتعليمية.

اما بالنسبة للمصادر التي استخدمت في هذا البحث فقد تنوعت ما بين كتب التاريخ العام التي افادت البحث بشكل كبير لحديثها عن شخصية نورالدين محمود وفترة حكمه وكان ابرزها كتاب الباهر

في تاريخ الدولة الاتابكية لابن الاثير وكتاب تاريخ الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية لابي شامة المقدسي وكتاب البداية والنهاية لابن كثير ،وكتب التراجم التي استقينا منها تراجم الشخصيات التي وردت في البحث وابرزها كتاب المنتظم في اخبار الملوك والامم لابن الجوزي وكتاب وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لابن خلكان وسير اعلام النبلاء للذهبي الى غير ذلك من الكتب اهمها كتاب الدارس في تاريخ للنعيمي الذي حوى معلومات كثيرة عن المدارس في الحقبة قيد الدراسة فضلا عن عدد اخر من المصادر ايضا استخدمت مجموعة من المراجع اغنت صفحات البحث.

* * *

المبحث الأول

الحياة العلمية في عهد نورالدين محمود

- **اولا: نورالدين محمود وطريق الاصلاح**

بعد وفاة عماد الدين زنكي تولى الحكم نورالدين محمود وهو ابو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر التركي مولده سنة احدى عشرة وخمسمائة[١].

ان مفتاح شخصية نورالدين محمود هو شعوره بالمسؤولية وحرصة على تحرير البلاد من الصليبيين وخوفه من محاسبة الله له وشدة ايمانه بالله اليوم الاخر، وقد تميزت شخصيته بمجموعة من الصفات ساعدته على تحقيق انجازاته من ابرزها الجدية والذكاء المتوقد، الشعور بالمسؤولية وقدرته على مواجهة المشاكل والاحداث فضلا عن شجاعته وكرمه وزهده[٢] الى غير ذلك من الصفات التي كان لها ابلغ الاثر في كل ما تحقق خلال مدة حكمة.

والمتأمل في سيرة نورالدين يجد انه شرع السبيل لفتح القدس عبر تأسيسات مهمة هي:-

اولا: تأسيس القيادة النموذج، فقد حرص نورالدين ان يصنع للامة قيادة راشدة تمثلت في شخصه، فجمع الدين والتقوى والعلم والشجاعة[٣].

فيقول ابن الاثير «طالعت السير فلم ار فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن من سيرته، ولا اكثر تحريا للعدل، وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف إلا من ملك له اشتراه من سهمه من الغنيمة، وكان يتهجد كثيرا[٤] ويقول المقدسي «اطربني ما رأيت من اثاره وسمعت من اخباره مع تأخر زمانه ثم وقفت بعد

(١) ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٨) ج٥، ص ص ١٨٤-١٨٥، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي(ت٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط- محمد نعيم العرقسوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ) ج٢، ص ص ٥٣٢-٥٣٩.

(٢) علي محمد الصلابي، عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الاسلامي (المنصورة مكتبة الايمان،٢٠٠٦) ص ١٤٨-١٧٣.

(٣) عادل بانعمة، الى طريق النصر(د. م : دار الطرفين للنشر والتوزيع،٢٠١١) ص٨٣.

(٤) علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيشاني المعروف بابن الاثير (ت٦٣٠هـ)، الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق: عبد القادر احمد طليمات (القاهرة: دار الكتب الحديثة) ص١٦٤.

ذلك على سيرة سيد الملوك بعده الملك الناصر صلاح الدين فوجدتهما في المتأخرين كالعمرين (رضي الله عنهما) في المتقدمين فلله درهما من ملكين تعاقبا على حسن السيرة وجميل السريرة، والفضل للمتقدم (نورالدين) فانه اصل ذلك الخير كله، مهد الامور بعدله وجهاده وهيبته في جميع بلاده[١].

ثانيا: تأسيس الوحدة النموذج، لقد حرص نورالدين على تحقيق اكبر قدر من الوحدة الاسلامية دون ان يريق دماء المسلمين فقد كان شديد الحفاظ عليها[٢].

فعندما تقدم الى دمشق عام (٥٤٧هـ/١١٥٢) لضمها الى الجبهة الاسلامية التي كان يشكلها استنجد حاكمها مجيرالدين ابق بالعسكر للخروج الى قتاله لكن لم يخرج منهم الا القليل لما وقر في نفوسهم من استنجاد مجيرالدين بالصليبين[٣] ولما هم عليه من المحبة لنورالدين، وعدله وحسن ذكره[٤].

ولما دخل دمشق عام(٥٤٩هـ-١١٥٤م)، لم ترق نقطة دم واحدة حرصا منه على عدم اراقة دماء المسلمين[٥].

ثالثا: تأسيس المجتمع المسلم، حيث حرص على تطبيق احكام الشريعة ورفع المظالم وانصاف الناس[٦] حيث يذكر ابن الاثير»احضره انسان الى مجلس الحكم فمضى معه اليه وارسل الى القاضي كمال الدين بن الشهرزوري يقول: قد جئت محاكما، فاسلك معي ما تسلك مع الخصوم، وظهر الحق له، فوهبه الخصم الذي احصوه وقال: اردت ان يترك له ما يدعيه، انما خفت ان يكون الباعث لي على ذلك الكبر والانفة من الحضور الى مجلس الشريعة، فحضرت ثم وهبته ما يدعيه[٧].

---

(١) شهاب الدين بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي (ت٦٦٥هـ)، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧) ص ٩٢-٩٣.

(٢) بانعمة، الى طريق النصر، ص٨٥.

(٣) محمد سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ٥٢١-٦٣٠هـ/ ١١٢٧-١٢٣م، ط٢/(بيروت: دار النفائس،١٤٣١/ ٢٠١٠م) ص٤١٠.

(٤) ابو بعلي حمزة بن القلانسي (ت٥٥٥هـ)، ذيل تاريخ دمشق (بيروت: مطبعة الاباء اليسوعيين، ١٩٠٨) ص٥٠٤.

(٥) طقوش، تاريخ الزنكيين،ص٤١٠؛ حسين مؤنس، نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق(القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م) ص ٢٣١-٢٧٥.

(٦) بانعمة، الى طريق النصر، ص٨٥.

(٧) علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير (ت٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ (بيروت: دار ومكتبة الهلال بلا.ت) م١١، ص٤٠٤.

رابعا: تأسيس الروح الجهادية فقد سعى نور الدين الى احياء المعاني الجهادية في النفوس وتربية الامة على معانيها وتكريس عزة المسلمين ومنعتهم وبذل الجهد في حماية المدن الحفاظ على ارواح المسلمين[١] وقد كان يعطي النموذج للقائد الشجاع الذي يتقدم الجند فهو يحقق المشروع الذي يتحدث عنه ولا يحققه بجهد الاخرين وهو يجلس على عرشه، حيث يذكر ابن الاثير «واما شجاعته، فإليها النهاية.... فحين قال له احد الفقهاء: بالله عليك لا تخاطر بنفسك وبالإسلام والمسلمين فان اصبت في معركة لا يبقى من المسلمين احد الا اخذه السيف فقال له نورالدين: ومن محمود حتى يقال له هذا؟ من قبلي من حفظ البلاد والاسلام؟ ذلك الله الذي لا اله الا هو[٢].

خامسا: تقديم نموذج للحاكم العالم المحب للعلم واهله ويتضح ذلك من خلال سيرته حيث يذكرابن الاثير...وبنى المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية...وكان يكرم العلماء واهل الدين ويعظمهم ويعطيهم ويقوم اليهم ويجلسهم معه ويتبسط معهم ولايرد لهم قولا ويكاتبهم بخط يده[٣].

وقد كان شغوفا بالعلم وسعى الى التشبه بالعلماء والصالحين، وسمع الحديث حتى برع فيه ومارس عمل المحدث رغم كثافة عمله السياسي والعسكري وذلك في محاولة لتعزيز مكانة اهل السنة[٤].

ثانيا: اهتمامه بالمؤسسات التعليمية

لقد اهتم نور الدين محمود منذ استلم بالتخطيط السليم الذي يؤتي ثماره عاجلا او اجلا ذلك التخطيط الذي يهتم بادق التفاصيل سواء في الجانب السياسي او الاقتصادي بل حتى في الجانب التعليمي والاجتماعي، إذ ان نورالدين محمود كان على يقين تام بانه لأجل مواجهة الاخطار المحدقة بالمجتمع انذاك يجب بناء انسان واع قادر على تحمل اعباء المرحلة الحرجة انسان يملك القدرة على مواجهة الخطر الداخلي والخارجي، لذلك شكل الجانب التعليمي مرتكزا مهما في سياسة الاصلاح الشاملة التي نفذها نور الدين محمود داخل المجتمع. ذلك ان المجتمع الجاهل لا يمكن ان يعي وضع الامة وما تعاني منه من مخاطر وتحديات داخلية وخارجية ولا يمكن الاستعانة به لبناء اسس دولة متينة والتغلب على المخاطر التي كان المجتمع الاسلامي يواجهها فكان الاهتمام بالتعليم ومؤسساته

(١) بانعمة، الى طريق النصر، ص٨٦.
(٢) ابن الاثير، الكامل، م١١، ص٤٠٤.
(٣) المصدر ذاته، ص ص٤٠٤-٤٠٥.
(٤) طقوش، تاريخ الزنكيين، ص٤١٢.

المختلفة وايقاف الاوقاف عليها لتكون خير معين لنورالدين للسير في طريقه الاصلاحي.

لقد شملت سياسه نور الدين محمود التعليمية جميع المجالات، فهي لم تقتصر مثلا على الاهتمام بالعلماء دون بناء المدارس وهكذا بل كانت عبارة عن خطة متكاملة شملت بناء مختلف المؤسسات التعليمية واستقدام العلماء من جميع الأنحاء فضلا عن توفير كافة المستلزمات لإنجاح العملية التعليمية كي يحصل بالتالي على نتيجة مثمرة، ألا وهي انسان مسلم متعلم قادر على مواجهة التحديات التي كانت تواجه الدولة آنذاك.

اهتم نور الدين محمود ابتداء ببناء المؤسسات التعليمية وأولها المسجد حيث كان يدرك اهميته عبر مختلف العصور الإسلامية فهو أول وأهم أماكن التعليم حيث قام ببناء المساجد واصلاح ما كان موجودا منها وكان اشهر المساجد التي بناها هو المسجد النوري في الموصل[١]. ثم تولى بناء المؤسسات التعليمية وهي:

١. دور الحديث: عني المسلمون بدراسة الحديث عناية كبيرة باعتباره المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي بعد القران الكريم لذلك انشات هذه الدور التي تتولى مهمة تدريس اقوال النبي ﷺ وافعاله واحواله، وقد انشا نورالدين محمود دار الحديث بدمشق وهي الاولى من نوعها في الاسلام ومن ثم تكاثرت دور الحديث كمدارس احادية مخصصه لهذا العلم[٢].

كان الاتجاه الى العناية بالحديث الشريف وتدريسه من أبرز سمات التعليم في العهد الزنكي، وليس هناك اختلاف في نظم التعليم بين دور الحديث والمدارس الاخرى سوى في كون المناهج في الاولى تركز على الدراسات المتصلة بعلوم الحديث بينما يغلب التخصص الفقهي على مدارس العصر[٣].

أولى نور الدين محمود مهمة التدريس في دار الحديث النورية للحافظ ابو القاسم ابن عساكر (ت٥٧١هـ/١١٧٦م)[٤].

---

(١) «....وبنى الجوامع في جميع البلاد، فجامعة في الموصل اليه النهاية في الحسن والاتقان ومن احسن ما عمل فيه انه فوض امر عمارته والخرج عليه الى الشيخ عمر الملا...» ابن الاثير، الباهر، ص١٧٠.

(٢) الصلابي، عصر الدولة الزنكية، ص٢٦١.

(٣) ابراهيم بن محمد المزيني، الحياة العلمية في العهد الزنكي ،ط١ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص ٤٤٨.

(٤) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٧٢.

اما في حلب فقد انشات العديد من دور الحديث أولها تنسب لنور الدين محمود[١] اما الاخرى فقد انشأها نائبه مجد الدين ابن الداية (ت٥٦٥هـ/١١٧٠م)[٢] اما الدار الاخرى فقد بنتها ام الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود[٣]. وهذا يدل على ان الانفاق على مؤسسات التعليم انتشر بين الرجال والنساء وايضا على عموم رجال الدولة ولم يقتصر على الحاكم فقط، وقد سجل باسم نورالدين في حلب اول دار للحديث وهذا يدل على اهتمامه بهذا الجانب.

٢. الكُتاب: حيث اتخذ المعلمون في العهد الزنكي زوايا المساجد وغرفا ملاصقة لها لتعليم الاطفال القران الكريم ومبادئ الدين الاسلامي في شتى المدن الزنكية وقد اهتم رواد التعليم في الدولة الزنكية بنوع معين من الكتاتيب يطلق عليها «مكاتب الايتام او مكاتب السبيل» وقد أنشئ هذا النوع لتعليم الايتام الذين فقدوا عائلهم او الاطفال غير القادرين على التعلم وقد خص ابن عساكر هذا النوع من الكتاتيب في حديثه عن اعمال نور الدين محمود الخيرية فقال: ونصب جماعة من المعلمين لتعليم يتامى المسلمين واجرى الارزاق على معلميهم عليهم بقدر ما يكفيهم[٤] كما تحدث ابن جبير عن واحد من هذه الكتاتيب في دمشق ووصفه بقوله: وللأيتام من الصبيان محضرة كبيرة بالبلد لها وقف كبير يأخذ منه المعلم وينفق منه على الصبيان ما يقوم بهم وبكسوتهم[٥].

٣. الخوانق والربط: وهي من اهم مراكز الصوفية في العهد الزنكي فضلا عن الى مهمتها الاساسية في التصوف كانت دور تعليم شاركت في تعليم العلوم الشرعية وقدمت مع دور التعليم الاخرى خدمات جليلة لحركة التعليم[٦] وقد انتشرت في حلب ودمشق[٧] الا ان اثرها كان اقل من المساجد والمدارس.

---

(١) قاضي القضاة ابي الفضل محمد بن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ المملكة حلب، تقدم: عبدالله محمد الدرويش (دمشق: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص١٢٣.

(٢) المزيني، الحياة العلمية، ص٤٠٨.

(٣) المصدر ذاته.

(٤) الصلابي، عصر الدولة الزنكية، ص٢٦٧.

(٥) ابن جبير: محمد بن أحمد (ت ٦١٤ ه / ١٢١٧ م) الرحلة المسماة تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار(بيروت: دار الكتاب اللبناني) ص٢٤٥.

(٦) المزيني، الحياة العلمية، ١٣٥.

(٧) ومن هذه الاماكن في حلب خانقاه البلاط وخانقاه ابن العجمي وخانقاة القديم وخانقاة مجد الدين ابن الداية وخوانق النساء وكذلك في دمشق مثل خانقاه القصر وخاقناه الطاحون وغيرهما والربط مثل الرباط البياني وفي الموصل رباط الوزير جمال الدين الاصبهاني والرباط الزيني ورباط ابن الشهرزوري للمزيد ينظر: الصلابي، عصر =

ثانيا: اهتمامه بالعلماء

كان للعلماء مكانه كبيرة في دولة نور الدين محمود، حيث حظي العلماء بالعناية والرعاية والتكريم يوضح ذلك ما ورد في الكتب التي تناولت سيرة نورالدين محمود حيث يورد ابن الاثير نصا يوضح مكانة العلماء حينما حاول بعض الامراء التطاول على الفقيه الشافعي قطب الدين النيسابوري الذي استقدمه نورالدين محمود من خراسان وبالغ في اكرامه حيث يقول «ان بعض الاكابر من الامراء حسد قطب الدين النيسابوري فنال احدهم منه يوما عند نور الدين فقال له: يا هذا ان صح ما تقول فله حسنة تغفر كل زلة تذكرها، وهي العلم والدين، واما انت واصحابك ففيكم اضعاف ما ذكرت وليست لكم حسنة تغفرها، ولو عقلت لشغلك عليك عن غيرك وانا احتمل سيئاتكم مع عدم حسناتكم، افلا احتمل سيئة هذا- ان صحت- مع وجود حسنته؟ على اني والله لا اصدقك فيما تقول، وان عدت ذكرته او غير يسوء لأذنيك، فكف عنه»[(١)].

من جانب اخر فان نور الدين لم يقف في تعامله مع العلماء عند مسالة التشجيع الادبي والكلمة الطيبة ولكنه تجاوز ذلك الى البذل والعطاء فكان يمنحهم بسخاء حيث كان يؤمن ان هذه الفئة يجب ان تكون مكتفية والا تلجئها الضرورات القاسية الى ان تنزل درجات الى أسفل، فتحني رأسها وتلوي فكرها او تتخلق وتداهن وتغش وتكذب طلبا للأجر وسدا للحاجة وايضا هو يدرك في الوقت نفسه مقدار الجهد المبذول من هذه الفئة[(٢)].

فيذكر ابن الاثير ان نور الدين محمود كان يقول عن هؤلاء العلماء «هؤلاء حسنة الله وبدعائهم ننصر على الاعداء، ولهم في بيت المال حق اضعاف من اعطيتهم، فاذا رضوا منا ببعض حقهم فلهم المنة علينا»[(٣)] في حين قال له اصحابه يوما. «ان لك في البلاد ادارات كثيرة، وصلات عظيمة للفقهاء والفقراء والصوفية والقراء، فلوا استعنت بها الان لكان امثل، فغضب من هذا وقال: والله اني لا ارجو النصر الا بأولئك كيف اقطع صلات قوم يقاتلون عني وانا نائم في فراشي بسهام لا تخطيء، واصرفها الى من لا يقاتل عني الا اذا راني بسهام قد تخطئ وتصيب؟ ثم ان لهؤلاء القوم نصيبا في بيت المال اصرفه اليهم،

= الدولة الزنكية، ص ص ٢٦٤-٢٦٦.

(١) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص ص١٧١- ١٧٢.

(٢) عماد الدين خليل، نورالدين محمود الرجل والتجربة (بيروت: دار القلم، بلا. ت) ص١٤٠.

(٣) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٧٣.

فكيف اعطيه غيرهم»[١].

وقد وسع نور الدين نطاق الخدمات العلمية للدولة ومنح الضمانات الكافية للمدرسين والدارسين على السواء، ومكن العلماء، بما خصصه لهم من اعطيات من ان يتفرغوا لمهامهم العلمية[٢].

لقد كان للعلماء الدور الاكبر في الاصلاح الذي كان يبتغيه نور الدين فقد فسح لهم المجال وقدرهم لذلك وفدوا اليه[٣].

* * *

(١) المصدر نفسه .

(٢) عماد الدين خليل، نورالدين محمود، ص١٤١.

(٣) محمد العبدة، اعيد التاريخ نفسه، ط٣ (د. م: د. مط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ص١١٠.

المبحث الثاني

المدارس في عهد نورالدين محمود دورها في عملية الاصلاح

- **اولا المدارس:**

شهدت دولة نور الدين محمود نشاطا علميا واسع النطاق حيث بنيت المؤسسات التعليمية في كل ارجاء الدولة وتسابق العلماء والادباء للقدووم الى بلاد الشام من المشرق والمغرب، وتهيأت كل الضمانات المالية والاجتماعية لشيوخ العلم والطلبة الدارسين، وعقد المجالس لمناقشة القضايا العلمية في شتى اصناف العلوم[١].

كان مجلس نورالدين محمود يجتمع فيه العلماء للبحث النظر[٢].

لم تكن تلك المناقشات ترفا فكريا انما كانت نشاطا جادا من اجل مجابهة المشاكل المستمرة التي كان يعاني منها المجتمع[٣]وكان نورالدين محبا للعلم ويسعى وهو في قمة السلطة الى التشبه بالعلماء والاقتداء بسيرهم[٤] وكان العلماء عنده في المنزلة الاولى[٥] ويحضرهم الى مجلسه ويتواضع لهم[٦].

مما تقدم يمكن القول ان الثقافة والعلم حازت على مرتبة متقدمة في دولة نورالدين محمود لأنه كان متأكدا ان للعلم اهمية كبيرة في عملية الاصلاح التي يقوم بها داخل المجتمع.

---

(١) عماد الدين خليل، نورالدين محمود، ص١٢٩.

(٢) جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق وتعليق: جمال الدين الشيال(د. م: د.مط، بلا. ت) ج١، ص٢٨٣؛ ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص ١٧١-١٧٣.

(٣) عماد الدين خليل، نورالدين محمود، ص١٣٣.

(٤) المقدسي، الروضتين، ج١، ص١٠٦.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، ص٢٨٣.

(٦) ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي(ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والاسم(بغداد: الدار الوطنية،١٩٩٠) ج١٠،ص٢٤٩، ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص ١٧١-١٧٣، عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ضبطه وقدم له: سهيل زكار (بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، ج١١، ٣٤٩٧.

١. المدرسة الحلاوية:

ويرد ذكرها في كتاب « الزبدة» حيث يذكر ابن العديم كيف ان نورالدين قام بتجديد هذه المدرسة بقوله «وشرع نورالدين في تجديد المدارس والرباطات بحلب وجلب اهل العلم والفقهاء اليها، فجدد المدرسة المعروفة بالحلاوويين، في سنة ٥٤٣هـ واستدعى برهان الدين ابا الحسن علي بن الحسن البلخي وولاه تدرسيها»[١].

ويذكر ابن الشحنة بخصوص تاريخ هذه المدرسة «المدرسة الحلوية كانت كنيسة من بناء هيلانه ام قسطنطين، وجعلها القاضي ابو الحسن بن الخشاب مسجدا بسبب ما اعتمده الفرنج من بعثره قبور المسلمين واحراقهم حين حصارهم حلب في سنة ثماني عشرة وخمسمائة، وكانت تعرف بمسجد السراجين، فلما ملك نور الدين جعلها مدرسة وجدد بها مساكن يأوي اليها الفقهاء وايوانا وكان مبدأ عمارتها سنة اربع واربعين- الصواب ثلاث واربعين كما هو مكتوب على جدار بابها وجلب اليها من افامية مذبحا من الرخام الملكي الشفاف الذي اذا وضع تحته ضوء بان من وجهه[٢]. كانت هذه المدرسة من أعظم المدارس صيتاً وأكثرها طلبة، شرط الواقف أن يكون التدريس بالمدرسة على المذهب الحنفي.[٣]

ومن مظاهر اهتمامه بالمدرسة كان يقدم في السابع والعشرين في رمضان طعاما يجمع عليه المدرسة، وورد في شرط الواقف أن يحمل في كل شهر رمضان ٣٠٠٠ درهم لكبير المدرسين يصنع بها للفقهاء طعامهم، وإن المدرسين كانوا يتسلمون مخصصات أخرى تمكنهم من شراء الملابس والدواء والفاكهة وغيرها[٤].

يتضح مما سبق مدى الاهتمام الذي اولاه نورالدين محمود لهذه المدرسة سواء من ناحية استقدام العلماء او من ناحية توفير المستلزمات المادية مما يؤكد على اهتمامه الكبير بالمؤسسات العلمية ودعمها كركيزة اساسية في تنفيذ خارطة الاصلاح التي رسمها للمجتمع.

---

(١) كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله ابن العديم (ت٦٦٠هـ)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، نشوء تحقيق: سامي الرهان(دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٤) ج٢، ص ص٢٩٣-٢٩٤.

(٢) ابن الشحنة، ابو الفضل محب الدين الحلبي ،الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم: عبدالله محمد الدرويش (دمشق: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص١١٥.

(٣) محمد عبد الرزاق أسود، المدارس الإسلامية وأوقافها بحلب منذ القرن السادس الهجري حتى اليوم، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي عن الأوقاف، (حلب-غازي عنتاب) ص٣.

(٤) ابن جبير، الرحلة، ص٢٤٨.

٢. المدرسة المقدمية:

انشات هذه المدرسة على يد عزالدين عبد الملك المُعدم وقد كانت احدى الكنائس الاربع التي صيرها القاضي ابن الخشاب مساجد سنة ٥١١هـ/١١٢٤م وقد بدأ البناء في هذه المدرسة سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م[١].

واول من تولى التدريس فيها الشيخ برهان الدين ابو العباس احمد بن علي الاصولي مدرس المدرسة الحلاوية[٢] وكانت هذه المدرسة من مدارس الحنفية[٣].

٣. المدرسة المجدية الجوانية:

وتنسب هذه المدرسة الى مجد الدين بن الداية نائب حلب في زمن نور الدين ويذكر ابن الشحنة انها بالقرب من ضريح النبي بلوقيا بملة برى وقد خربت ولم يبق لها اثر ولاعين في سنة ست وثلاثين وتسعمائة[٤] وهذه المدرسة ايضا على المذهب الحنفي.

٤. المدرسة المعينة:

وهي المدرسة التي أنشأها معين الدين انر الذي كان أتابك مجير الدين ابن صاحب دمشق في سنة ٥٥٥هـ/ م[٥] ويذكر ابن شداد انها تقع في حصن المثقفين[٦].

٥. المدرسة النورية الكبرى:

ويذكر ابن شداد انها تقع في سوق الخواصين[٧] انشاها الملك العادل نورالدين محمود سنة ٥٦٣هـ/م، وهي بعض دار هشام بن عبد الملك مروان وكانت قديما دار معاوية بن ابي سفيان[٨] وحينما تذكر حركة التعليم في بلاد الشام وخاصة في عصر نور الدين محمود والسنوات التي ثلث حكمه يشار الى هذه

(١) ابن الشحنة، المنتخب، ص١١٨.
(٢) المزيني، الحياة العلمية، ص٤٠٥.
(٣) المزيني، الحياة العلمية، ص٤٠٥.
(٤) ابن الشحنة، المنتخب، ص١٢٠.
(٥) عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي(ت٩٧٨هـ)، الدارس في تاريخ المدارس(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ج١، ص٤٥١.
(٦) عزالدين ابي عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم(ت٦٨٤هـ)، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، نشر وتحقيق: سامي الدهان (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) ص٢١٢.
(٧) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ص٢٠٣.
(٨) النعيمي، الدراس، ج١، ص٤٦٦.

المدرسة في مقدمة دور التعليم وتتضح اهمية هذه المدرسة في الاثر العلمي الذي قام به شيوخها ومعيدوها وفي الاعداد الوافرة من الطلاب الذين تخرجوا منها اضافة الى ما قامت به تلك المدرسة من نشاط سياسي واجتماعي في ذلك العهد[١] ويتوسع صاحب كتاب الدارس في تاريخ المدارس بذكر من درس فيها عبر العصور المختلفة[٢] ويذكر الصلابي نصا[٣] موجود على الحجر الذي يكون العتبة العليا لباب المدرسة يبين من خلاله حجم الاوقاف التي اوقفها نور الدين على هذه المدرسة للانفاق على الطلاب والمدرسين والعاملين في المدرسة انفاقا سخيا متواصلاً[٤].

٦. المدرسة النفرية (النورية):

ويذكر ابن العديم عن هذه المدرسة «جدد مدرسة النفري وولاها القطب النيسابوري[٥] كان قد انشاها نورالدين محمود سنة اربعة واربعين وخمسمائة[٦] وكانت هذه المدرسة على المذهب الشافعي. وكانت المعلومات عن هذه المدرسة شحيحة جدا في المصادر التي تناولت حقبة نورالدين محمود وكذلك التي تناولت الحياة العلمية في الشام».

٧. المدرسة العصرونية:

وعن هذه المدرسة يرد النص في بنائها عند ابن العديم حيث يقول: «وجدد المدرسة العصرونية على

(١) الصلابي، عصر الدولة الزنكية، ص٢٥٩.

(٢) النعيمي، الدارس، ص ٤٦٦-٤٩٩.

(٣) النص هو «بسم الله الرحمن الرحيم» انشا هذه المدرسة المباركة العادل الزاهد نور الدين ابو القاسم محمود بن زنكي سنقر ضاعف الله ثوابه، ووقفها على اصحاب الامام سراج الامة ابي حنفية، رضي الله عنه، ووقف عليها وعلى الفقهاء والمتفقهة بها جميع الحمام المستجد بسوق القمح والحمامين المستجدين بالوراقة ظاهر باب السلامة والدار المجاورة والربع من بستان الجوزة بالارزة والاحدى والعشرين حانوتا خارج باب الجابية والساحة الملاصقة لها من الشرق، والستة حقول بداريا، على ما نص وشرط فكتب الوقف رغبة في الاخرة وتقدمه بين يديه يوم الحساب المزيني، الحياة العلمية في العهد الزنكي، ص٤٣٠.

(٤) المصدر ذاته.

(٥) هو ابو المعالي سعود بن محمد الطرثيثي كان اماما في المذهب الشافعي والخلاف والاصول والتفسير والوعظ اديبا مناظرا درس بنظامية ينسابور ثم ورد بغداد ودمشق وعندما بنى نور الدين المدرسة النظرية استدعي للتدريس فيها للمزيد عنه انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤، ص٢٨٣؛ الذهبي، سير، ج٢١، ص١٠٧؛ ابي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح الحلو- محمود عبد الطناحي، ط٢ (الجيزة: هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٢) ج٧، ص٢٩٧.

(٦) ابن العديم، الزبدة، ج٢، ص٢٩٤..

مذهب الشافعي، وولاها شرف الدين بن ابي عصرون»[١] اما ابن الشحنة فيورد «المدرسة العصرونية كانت دارا لابي الحسن علي بن ابي الثريا فصيرها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بعد انتقالها اليه بالوجه الشرعي مدرسة وجعل فيها مساكن للمرتبين بها من الفقهاء وذلك في سنة خمسين وخمسمائة واستدعي لها من جبل بناحية سنجار الشيخ الامام شرف الدين ابا سعد عبدالله بن ابي السرى محمد بن هبة الله بن المطهر علي بن ابي عصرون التميمي الحديثي الموصلي الشافعي[٢] وكان من اعيان فقهاء عصره وصل الى حلب ولي تدريسها والنظر فيها وهو اول من درس بها فعرفت به وصنف كتبا كثيرة في المذهب والخلاف والفرائض مشهورة في ايدي الناس[٣].

من خلال النصوص السابقة يتضح ان هذه المدرسة انشات بعد المدرسة الحلاوية وانها كانت ايضا على المذهب الشافعي وكان اول من درس بها ابن عصرون وقد عرفت باسمه.

٨. المدرسة الشرفية:

ويذكر ابن الشحنة ان من انشأها هو الامام شرف الدين ابو طالب عبد الرحمن بن ابي صالح عبد الرحيم المعروف بابن العجمي وصرف عليها ما يقارب اربعمائة الف درهم ووقف عليها اوقافا كثيرة ودرس فيها ولده محي الدين محمد الى ان قتل على ايدي التتر بعد استيلائهم على حلب[٤].

٩. المدرسة الاسدية الجوانية:

يذكر صاحب الدارس انها تقع بالشرف القبلي ظاهر دمشق وهي المطلة على الميدان الاخضر[٥] ويورد ابن شداد ان التدريس في هذه المدرسة على المذهبين الحنفي والشافعي[٦].

---

(١) هو الشيخ الامام شرف الدين بن ابي عصرون، كان من اعيان فقهاء عصره وبنى له نور الدين عدد من المدارس في منبج وحماة وحمص وبعلبك ودمشق وفوض اليه التدريس فيها. للمزيد عنه انظر: ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص ٩٨-٩٩؛ ابن العديم، الزبدة، ج٢، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٢) كان من الصالحين العلماء العاملين ولد بالموصل وقدم بغداد، رفقته على القاضي ابي محمد عبدالله بن القاسم بن الشهرزوري واخذ الاصول عن ابي الفتح بن البرهان وسمع من ابي القاسم بن الحصين وغيره، ولي قضاء حران وسنجار ونصيبين، تفقه عليه جماعه ومن اكبر تلاميذه الفجر بن عساكر انظر: النعيمي، الدارس، ج١، ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٣) ابن الشحنة، المنتخب، ص١١١.

(٤) ابن الشحنة، المنتخب ، ص١١٢.

(٥) النعيمي، الدارس، ص١١٤.

(٦) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص٢٦٢.

١٠. المدرسة الشعبية:

ويذكر عنها ابن العديم «مسجد الغضائري وقف عليه وقفا، وولاه الشيخ شعيب وصار يعرف به[١] ويذكر ابن الشحنة» المدرسة الشعبية كانت هذه مسجد اول ما اختطه المسلمون عند فتح حلب يعرف بالغضائري فلما ملك نورالدين حلب وانشا المدارس بها وصل الشيخ شعيب بن ابي الحسن بن الحسين بن احمد الفقيه الاندلسي فصيرت له مدرسة فعرفت به ولم يزل مدرسا بها الى ان توفي سنة ست تسعين ولخمسمائة»[٢]. وكان التدريس فيها على المذهب الشافعي.

١١.المدرسة المجاهدية الجوانية:

تقع بالقرب من باب الخواصين، واقفها الامير مجاهد الدين ابو الفوارس بزان بن يامين بن علي بن محمد الجلالي الكردي احد مقدمي الجيش بالشام في دولة نورالدين وقبله[٣].

١٢.المدرسة العمادية:

بناها نورالدين محمود برسم خطيب دمشق ابي البركات بن عبد الحارثي[٤] وهو اول من درس فيها[٥] ونسبت للعماد الاصفهاني[٦] لتدريسه بها بعده وقد ذكر العماد خبر تدريسه في هذه المدرسة سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م[٧].

---

(١) ابن العديم، الزبدة، ج٢، ص٢٩٤.

(٢) ابن الشحنة، المنتخب، ص١١٢.

(٣) النعيمي، الدارس، ج١، صص٣٤٣-٣٤٤.

(٤) هو خطيب دمشق ابو البركات الخضر بن شهيل بن عبد الحارثي الدمشقي الفقيه الشافعي درس بالغزالية والمجاهدية وبنى له نورالدين محمود مدرسته التي عند باب الفرج فدرس بها وتعرف بالعمادية، كتب كثيرا من الحديث الفقة وكان سديد الفتوى واسع المحفوظ ثبتا في الرواية، وكان عالما بالمذهب يتكلم بالاصول والخلاف توفي سنة ٥٦٢هـ. انظر: النعيمي، الدارس، ج١، ص٣٠٩.

(٥) المصدر ذاته.

(٦) هو محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبدالله بن علي بن محمود بن هبة الله، المعروف بالعماد الكاتب الاصبهاني، صاحب المصنفات والرسائل ولد سنة ٥١٩هـ قدم بغداد واشتغل بها على الشيخ ابي منصور الرزاز، ثم رحل الى الشام فحظي عند الملك نورالدين محمود بالمتانة الكبيرة كتب بين يديه وولاه المدرسة التي انشأها في داخل باب الفرج التي يقال لها العمادية، له من المصنفات الفتح القدسي، والبرق الشامي وغيرها انظر: ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٣٥٩٧.

(٧) المزيني، الحياة العلمية، ص٤٣٩.

١٣. المدرسة العادلية الكبرى:

بنيت في ٥٥٥هـ، ويذكر أن نورالدين شرع في بناء هذه المدرسة على المذهب الشافعي تقديرا لقطب الدين النيسابوري الذي يعد أول وأشهر من درَّس فيها.[١] وقد زار ابن جبير هذه المدرسة بعد وفاة نورالدين ووصفها وصفا دقيقا فقال: «من أحسن مدارس الدنيا منظرا ، وقصر من القصور الأنيقة، يجري الماء في وسطها في ساقية مستطيلة إلى أن يقع في صهريج كبير، فتحار الأبصار في حسن ذلك المنظر، فكل من يبصره يجدد الدعاء لنورالدين».[٢]

ونالت هذه المدرسة مكانة علمية كبيرة في ذلك العهد إذ كانت في مقدمة مدارس دمشق، وتتضح أهمية هذه المدرسة في الأثر العلمي الذي قام به شيوخها ومدرسوها وفي الأعداد الوافرة من الطلاب الذين تخرجوا فيها، وباستقراء الكتابة المسجلة على الحجر الذي يكون العتبة العليا لباب المدرسة يتبين حجم الأوقاف التي أوقفها نورالدين على هذه المدرسة للإنفاق على الطلاب والمدرسين والعاملين بالمدرسة.[٣]

- **ثانيا: أثر المدارس في حركة التجديد والاصلاح في عهده**

اوضحنا في الصفحات السابقة كيف انتشرت المؤسسات التعليمية وبالأخص المدارس في عصر نورالدين محمود ومدى تنوع هذه المدارس والاهتمام التي حظيت به من قيل الطبقة الحاكمة.

لقد كان للمؤسسات التعليمية وبالأخص المدارس اثر واضح وكبير في توجيه المجتمع وعملت مع باقي المؤسسات في المجتمع ضمن خطة اصلاحية شاملة[٤] استهدفت ما يلي:-

-نقل الناس من ظلام الجهل والامية الى نور المعرفة واليقين[٥]، فقد ادرك نورالدين محمود ان حالة الجهل والتخلف التي كانت سائدة المجتمع ستقف عائقا في وجه خطته الاصلاحية كما وقفت في وجه من سبقه من الحكام لذلك كان اهتمامه بمجال التعليم ومؤسساته واضحا جدا، حيث خصص

(١) ابن عساكر: ابن القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله) ٥٧١ ه / ١١٧٥ م(تاريخ دمشق - دراسة وتحقيق على شيري (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٩٨ م) ج ٢، ص ٢٥٩.

(٢) ابن جبير: تذكرة، ص ٢٣١.

(٣) المزيني: ابراهيم بن محمد، الحياة العلمية في العهد الزنكي ، ص ٤.

(٤) ماجد عرسان الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط٢، (دبي: دار القلم)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) ص٢٩١.

(٥) عماد الدين خليل، نورالدين محمود، ص١٥٨.

الاوقاف للمدارس ووضع للتدريس في كل مدرسة اكابر العلماء وهيأ الاماكن لسكن الطلبة الوافدين لهذه المدارس وهذا كله اوضحناه من خلال النصوص الواردة عن هذه المدارس في الكتب التي تتناول حقبة نورالدين محمود.

- ركزت المدارس بشكل اساس على الاجيال الناشئة، حيث استهدفت من خلال التوجيه والارشاد اعداد هذه الاجيال اعداد اسلاميا صحيحا[١].ذلك ان تهيئة علماء مشهورين في اختصاصاتهم ادى الى تخريج طلبة على مستوى عال خدم الدولة والمجتمع بشكل عام وخطة نورالدين بشكل خاص.

- استهدفت هذه المدارس توفير كادر من الموظفين والمهنيين يتماشى مع خطة الدولة في اصلاح المجتمع ويكون اداة بناء داخل المجتمع.

- لقد استهدفت المؤسسات التعليمية وبالأخص المدارس جعل الجماهير المسلمة على مستوى من الوعي بما يتفق واهداف الاسلام والتحديات الداخلية والخارجية التي كان يواجهها المجتمع[٢].

- ركزت المراكز التعليمية وبضمنها المدارس على بث الروح الاسلامية وعملت على تجفيف التعاليم الدخيلة على الدين الاسلامي، تلك التعاليم التي تركت اثارا عميقة في عقائد الناس وعاداتهم ومواقفهم السياسية والاجتماعية[٣].

- استهدفت المؤسسات التعليمية التي انشاها نور الدين محمود وبالإضافة الى محاربة الامية ترسيخ الاخلاق والقيم والعقيدة[٤]، حيث كان التعليم في هذه المؤسسات لكل المسلمين من العمال والمزارعين والتجار، فخطة نورالدين محمود كانت قائمة على التربية والاصلاح بصورة تشمل كل طبقات المجتمع على اختلافها.

- مما ميز المؤسسات التعليمية خلال عصر نور الدين محمود انها لم تقتصر على مؤسسات تبنتها الدولة فقط بل انها كانت عبارة عن نشاط جماعي تبدو ملامحة واضحة من خلال تباري الوزراء والقادة والاغنياء من الرجال والنساء في انفاق اموالهم في بناء المدارس والمؤسسات التعليمية وتوفير الفرصة

(١) الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص٢٩١.
(٢) المصدر ذاته.
(٣) المصدر ذاته، ص٢٩٢.
(٤) المصدر ذاته، ص٢٩٣.

لجميع افراد المجتمع لدخولها[١] ومثال ذلك المدرسة المجاهدية واقفها الامير مجاهد الدين ابو الفوارس بزان بن يامين بن علي بن محمد الجلالي الكردي احد مقدمي الجيش بالشام في دولة نورالدين وقبله[٢]. كذلك دورالحديث فقد انشأ نائب نورالدين مجد الدين ابن الداية (ت٥٦٥هـ/١١٧٠م) دارا للحديث في حلب[٣] اما الدار الاخرى فقد بنتها ام الملك الصالح اسماعيل بن نورالدين محمود[٤].

هذه الميزة ساهمت بشكل كبير وواضح في انتشار هذه المؤسسات التعليمية واستيعابها لأكبر عدد من ابناء المجتمع والقضاء بشكل تدريجي على حالة الجهل السائدة في المجتمع وزيادة اعداد المتعلمين بشكل ملحوظ.

- لقد ادت حالة التكامل في الميادين التربوية برجالها ومؤسساتها وبرامجها[٥] ان تكون دولة نورالدين محمود مركزعلميا وفكريا مهما في القرن السادس الهجري، حيث توافد اليها الالاف من العلماء والطلاب من كل بقاع الارض[٦].

- لقد كانت الاثر الأبرز لهذا النشاط التعليمي والتربوي الذي كان يجري بإشراف الدولة الزنكية هو تبديل البنية القديمة للمجتمع داخل دولته واحل محله جيلا جديدا تجلت من خلاله الروح الاسلامية لدى هيئات المجتمع وافراده ووجهت نشاطاتهم في جميع ميادين الحياة[٧].

---

(١) قام رجال نورالدين بإنشاء المدارس كالمدرسة التركية التي انشاها جمال الدين (يحان والي القلعة وخادم نورالدين سنة ٥٦٥هـ واوقف عليها اوقافا كثيرة، وانشا الامير مجاهد الدين بزان بن مامين مدرستين، وقامت عصمه خاتون زوجة نورالدين بإنشاء مدرسة لأصحاب ابي حنيفة سميت بالمدرسة الخاتونية او مدرسة خاتون وفي الزيارة التي قام بها ابن جبير لدمشق بعد وفاة نورالدين بعشر سنوات يقول انه شاهد فيها نحو عشرين مدرسة واغلب الظن ان معظم هذه المدارس مما تم انشاؤه خلال عصر نورالدين عماد الدين خليل، نورالدين محمود، ص ١٦٢-١٦٣.

(٢) النعيمي، الدارس، ج١، ص٣٤٣-٣٤٤.

(٣) المزيني، الحياة العلمية، ص ٤٠٨.

(٤) المصدر ذاته.

(٥) فقد كان يحضر مجلس نورالدين رجال الدولة والفقهاء وغيرهم وتتنافس فيه مختلف الامور حيث يذكر ابن الاثير عن مجلس نورالدين «مجلس حلم وحياء لا تؤبن فيه الحرم...ولا يذكر فيه الا العلم والدين واحوال الصالحين والمشورة في امر الجهاد وقصد بلاد العدو، ولا يتعدى هذا ....» ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٧٣.

(٦) الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص٢٩٣.

(٧) المصدر ذاته، ص٢٩٤.

وقد كان هذا واضحا جليا خاصة في القيادات السياسية والادارية والعسكرية التي احاطت بنورالدين محمود حيث تميزت هذه القيادات بالتزامها العقائدي في جميع نشاطاتها وممارستها[١] والسبب يعود في ذلك الى تربيتها الاسلامية[٢].

فقد عملت المؤسسات التعليمية وبضمنها المدارس التي انتشرت بشكل واسع في عهد نورالدين محمود على تهيئة الناس لأعمال اكبر كانت تشغل حيزا كبيرا من خطة نورالدين الا وهي الحرب ضد الصليبين فهو ايقن انه غير قادر على خوض هذه الحرب والخروج بنتيجة مثمرة بهكذا مجتمع جاهل غير متماسك لا يتمتع بسمات تؤهله لمواجهة الاخطار التي كانت تواجه الامة آنذاك، فهو كان يرمي من خطته الاصلاحية الشاملة والتي شغل التعليم حيزا واسعا منها تأهيل المجتمع بصورة تمكنه من ان يؤدي دوره في تلك المرحلة الحرجة.

لقد ادرك نورالدين ومن معه من الذين اشرفوا على عملية النهوض داخل المجتمع ان عزة الامة وقوتها في تمسكها بدينها وعملها بكتابها وسنة نبيها ﷺ وان الجيل الاول من هذه الامة ما انتصر على اعدائه الا بقوة العقيدة، وان الهزائم التي حلت بالمسلمين امام حملات الصليبيين كانت ثمرة طبيعية ونتيجة حتمية للانحراف العقائدي والفساد الفكري الذي اصاب الامة[٣].

نرى من ذلك ان نور الدين محمود كان قد شخص مبكرا الخلل الذي يعاني منه المجتمع الاسلامي آنذاك والذي كان سببا في ضياع أراضي المسلمين والخسائر المتتالية امام الصليبيين لذلك شرع في خطة متكاملة ترمي الى القضاء على مواطن الخلل الموجودة داخل المجتمع في سبيل تحقيق اهدافه.

* * *

(١) ومن الامثلة على ذلك وزيره ابو الفضل محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري والذي كان فقيها اصوليا شغل مناصب جديدة في دولة نورالدين، ايضا عبدالله بن محمد بن ابي عصرون الذي شغل منصب قاضي قضاة دمشق وناظرا للأوقاف وغيرهم كثير انظر: الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ،ص٢٩٦.

(٢) المصدر ذاته، ص٢٩٥.

(٣) الصلابي، عصر الدولة الزنكية، ص٢٧٥.

الخلاصة

تناولنا في الصفحات السابقة موضوع المدارس في عهد نورالدين محمود زنكي واثرها في عملية الاصلاح والتجديد داخل المجتمع الاسلامي ومن خلال النصوص الواردة في المصادر توصلنا للنتائج التالية:

- اهتم نور الدين محمود بالمؤسسات التعليمية، حيث أثبتت النصوص أن نور الدين محمود انشأ الكثير من المؤسسات التعليمية وقد تنوعت بين المدارس ودور الحديث والربط وفي مختلف المناطق واوقف عليها الاوقاف.

- اهتم نورالدين محمود بالعلماء واكرمهم وقد ساعدت حالة النهوض الثقافي التي عاشها المجتمع في عهدة على تدفق العلماء من مختلف البقاع الى دولته، وقد كانت لهم المنزلة الرفيعة في مجلسه.

- لقد أنشأ نورالدين محمود المدارس على أكثر من مذهب، فكانت المدارس على المذهب الحنفي مثل المدرسة المقدمية والمدرسة المجدية الجوانية والمدرسة النورية الكبرى كذلك مدارس اخرى على المذهب الشافعي مثل المدرسة النظرية والمدرسة العصرونية، ايضا مدارس مشتركة بين المذهبيين الحنفي والشافعي مثل المدرسة الاسدية الجوانية.

- أيقن نورالدين محمود بدور الثقافة والعلم في عملية الاصلاح الشامل التي قادها داخل المجتمع، وانه لا يمكن ان تقوم عملية الاصلاح في اوساط الجهل والتخلف التي كانت سائدة.

- لقد استهدفت المؤسسات التعليمية وخاصة المدارس اعداد الاجيال الناشئة اعداد اسلاميا صحيحا لكي يكونوا جزء فعال من عملية الاصلاح التي قادها وسار عليها ضمن خطة شملت كافة مجالات المجتمع.

- استهدفت المؤسسات التعليمية وخاصة المدارس توفير كادر متكامل من الموظفين لمختلف مؤسسات الدولة كادر يتماشى مع خطة الاصلاح الشاملة التي رسمها نورالدين محمود.

- استهدفت المدارس من خلال كادرها التدريسي ومناهجها اعادة صياغة الجماهير المسلمة بما يتفق واهداف الاسلام والتحديات التي كان يواجهها المجتمع المسلم على الصعيدين الداخلي والخارجي.

- عملت المدارس على بث الروح الاسلامية وتجفيف التعاليم الدخيلة على الدين الاسلامي، تلك

التعاليم التي كانت لها اثارها الخطيرة على كافة مجالات المجتمع.

- استهدفت هذه المدارس اضافة الى مهمتها الاساسية في محاربة الجهل الامية ترسيخ الاخلاق والقيم والعقيدة.

- الجميع اشترك في بناء المؤسسات التعليمية فهي لم تقتصر على الرجال دون النساء او الحاكم دون باقي رجالات الدولة ذلك ادى الى ان تتوفر بكثرة وتكون متاحة لجميع افراد المجتمع وهذا ساهم بشكل كبير في تحقيق الخطة الاصلاحية لنورالدين محمود.

* * *

المصادر والمراجع

- المصادر

*ابن الاثير، علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ).

- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق: عبد القادر طليمات (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م).

- الكامل في التاريخ (بيروت: دار مكتبة الهلال، بلا- ت).

* ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي(ت٥٩٧هـ)

- المنتظم في تاريخ الملوك والامم(بغداد: الدار الوطنية، ١٩٩٠).

* ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي يكوم(ت٦٨١هـ).

- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس(بيروت: دار الثقافة ، ١٩٦٨).

* الذهبي، محمد احمد بن عثمان بن قايماز(ت٧٤٨هـ).

- سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤط- محمد نعيم العرقسوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).

* السبكي، ابي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي(ت٧٧١هـ).

- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو- محمود محمد الطنامي، ط٢ (الجيزة: هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٢).

* ابن الشحنة، ابو الفضل محب الدين الحلبي

- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم: عبدالله محمد الدرويش (دمشق: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

* ابن شداد، عزالدين ابي عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم(ت٦٨٤هـ)

- الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، نشر وتحقيق: سامي الدهان(دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

* ابن عساكر: ابن القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (٥٧١ ه / ١١٧٥ م)

- تاريخ دمشق - دراسة وتحقيق على شيري (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٩٨ م)

* ابن العديم، كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله(ت٦٦٠هـ)

- زبدة الحلب من تاريخ حلب، نشر وتحقيق: سامي الدهان (دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٤).

* ابن القلانسي، ابي يعلى حمزة(ت٥٥٥هـ).

- ذيل تاريخ دمشق(بيروت: مطبعة الاباء اليسوعيين،١٩٠٨).

* الكتاني الاندلسي، ابو الحسن محمد بن احمد.

- رحلة ابن جبير(بيروت: دار صادر، ١٩٦٤).

* ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)

- البداية والنهاية (بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

*المقدسي، شهاب الدين بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم(ت٦٦٥هـ)

- الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧).

* النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت٩٧٨هـ).

- الدارس في تاريخ المدارس (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

*ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل(ت٦٩٧هـ)

- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق وتعليق: جمال الدين الشيال(د. م: مط، بلا-ت).

- المراجع

* بانعمة، عادل، الى طريق النصر(د. م: دار الطرفين للنشر والتوزيع، ٢٠١١م).

* حسين مؤنس، نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق(القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م).

* الصلابي، علي محمد عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الاسلامي (المنصورة : مكتبة الايمان، ٢٠٠٦م).

* طقوش، محمد سهيل، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ٥٢١-٦٣٠هـ/ ١١٢٧-١٢٣٣م)، ط٢(بيروت: دار النفائس، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

* عماد الدين خليل، نورالدين محمود الرجل والتجربة(دمشق: دارالقلم، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠).

* الكيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس (دبي: دار القلم، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

* محمد العبدة، ايعيد التاريخ نفسه،ط٣(د. م: د. مط، ١٤١٩هـ).

* محمد عبد الرزاق أسود، المدارس الإسلامية وأوقافها بحلب منذ القرن السادس الهجري حتى اليوم، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي عن الأوقاف، (حلب-غازي عنتاب)

* المزيني، ابراهيم بن محمد، الحياة العلمية في العهد الزنكي ،ط١(د. م: د. ط، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

* * *